عنوان المحاضرة(المعاني المشتركة في حروف الجر)

المعاني المشتركة

تبين مما تقدم أن هناك معاني مشتركة تؤديها طائفة من حروف الجر، كالتعليل، والظرفية والبدلية والاستعلاء وغيرها.

فالتعليل مثلا يؤدي باللام، وبـ (من) والباء، و (في) غيرها

والظرفية تؤدي بـ (في)، والباء (وعلى) وغيرها، ونحو ذلك.

فهل يكون المعنى المشترك متماثلا في هذه الأحرف؟ هل التعليل باللام، والباء و (من) واحد؟ وهل الظرفية بالباء، و (في) و (على) واحدة؟ وقل مثل ذلك في سائر المعاني.

وقد ذكرنا قسما من هذه المعاني في مواطنها، وذكرنا فيها رأينا، والآن نذكر أشهر ما بقي منها. التعليل:

يؤدي التعليل باللام كقوله تعالى: {والأنعام خلقها لكم فيها دفء} [النحل: ٥] وقوله: {ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون} [الروم: ٤٤]، وقوله: {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم} [هود: ١٨ - ١٩].

ويؤدي بالباء، نحو قوله تعالى: {ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون} [البقرة: ١٠]، وقوله: {فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم} [النساء: ١٦٠]

ويؤدي بـ (من) كقوله تعالى: {ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم} [الأنعام: ١٥١]، وقوله: {مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا} [نوح: ٢٥].

ويؤدي بـ (في)، نحو قوله تعالى: {لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم} [النور: ١٤]، وقوله (ص)، دخلت امرأة النار في هرة حبستها ..)، وغير ذلك، فهل معنى التعليل في هذه الأحرف متماثل؟

الحق أنه غير متماثل، وإن كان المعنى العام واحدا، فالتعليل بالباء غيره باللام غيره بـ (من) و (في) فإن لكل حرف من حروف التعليل معنى خاصا، وإن كانت كلها تفيد التعليل، ولذا لا يصح إبدال حرف مكان آخر دوما، فلا يصح مثلا في قوله تعالى: {وإذ استسقي موسى لقومه} [البقرة: ٦٠]، أن تقول: (وإذ استسقي موسى بقومه أو في قومه أو على قومه) لأداء المعنى نفسه، ولا يصح في قوله تعالى: {سخرها لكم} [الحج: ٣٧]، أن تقول: (سخرها بكم أو فيكم أو منكم)، ولا يصح في قوله تعالى: {والأرض وضعها للأنام} [الرحمن: ١٠]، أن تقول: (والأرض وضعها على الأنام أو في الأنام أو بالأنام أو من الأنعام) لإرادة معنى التعليل، ولو كانت المعاني متماثلة لصح إبدال حرف بآخر.

إن التعليل بالباء إنما هو بمقابل شيء حصل، تقول: (عاقبته بذنبه) فالعقاب مقابل الذنب الذي اقترفه صاحبه، وهو كأنه عوض عنه أو ثمن له جرى عليه بسببه،

قال تعالى: {بل لعنهم الله بكفرهم} [البقرة: ٨٨]، فاللعنة مقابل الكفر، وقال: {ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون} [البقرة: ١٠] فالعذاب مقابل كذبهم، وقال: {سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا

بالله} [آل عمران: ١٥٥]، أي مقابل ذلك، وقال: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس} [يوم: ٤١]، فإن ظهور الفساد مقابل ما فعله الناس.

وليست اللام كذلك، فإن اللام تفيد سبب حدوث الفعل، وليست مقابلا لشيء حصل فأنت تقول: (جئت للاستفادة) فالاستفادة ليست مقابل شيء، وتقول: (أرسلته لاختباره) فالاختبار ليس مقابلا لشيء، وإنما ذكرت سبب المجيء والإرسال، وتقول: (أرسلته لتجربته) و (أرسلته بتجربته) فقد أفادت الأولى أنه أرسله ليجربه، والثانية أرسله لأنه مجرب أي مقابل تجربته التي حدثت قبل إرساله.

إن التعليل باللام يختلف عن التعليل بالباء، وذلك إن العلة المقترنة بالباء تكون حاصلة قبل حدوث الفعل في الغالب، وإن الفعل حصل مقابلا لها، أما العلة المقترنة باللام فقد تكون حاصلة قبل الفعل، وقد تكون مرادا تحصيلها، قال تعالى: {بل لعنهم الله بكفرهم} [البقرة: ٨٨]، فاللعن مقابل الكفر، والكفر حاصل قبل اللعن، وتقول: (جئت للاطلاع) فالاطلاع غير حاصل في أثناء المجيء وإنما يطلب تحصيله، وتقول (جئت لمعالجة فلان) فالمعالجة هي السبب الداعي للمجئ وهي غير حاصلة في أثناء المجيء، بل يراد تحصيلها، وقد يكون السبب موجودًا وهو الدافع للفعل، كقولك (عاقبته لاسائته إلى فلان) و (رسب لاهماله) فالإساءة هي سبب العقوبة وهي موجودة قبل العقاب، وكذلك الاهمال.

ولذا لا يصح تعاقب الحرفين دوما. قال تعالى: {وأقم الصلاة لذكري} [طه: ١٤]، ولا تقول بذكري، وقال: {إنما نطعمكم لوجه الله} [الإنسان: ٩]، ولا تقول بوجه الله، وقال {ينبت لكم به الزرع والزيتون} [النحل: ١١]، ولا تقول: (ينبت بكم به الزرع).

إن التعليل بالباء يفيد المقابلة، والثمن، بخلاف اللام التي تفيد الاختصاص والاستحقاق.

المصدر : معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي